أدعياء اليهود للمسيحانية في العصر الإسلامي – حركة داود الروحي ألعمادي نموذجاً

أ.م.د. فرست مرعي اسماعيل
كلية العلوم الإنسانية/ جامعة زاخو

المقدمة

إذا كانت الدراسات والبحوث قد اهتمت إلى حد ما بأدعياء النبوة في التاريخ الإسلامي، فان مثل هذه الدراسات لم تتطرق إلى اليهود الذين ادعوا المسيحانية بالمفهوم التوراتي، أو النبوة والمهدية بالمفهوم الإسلامي. والسبب في اعتقاد الباحث يعود بالدرجة الأولى إلى عدم اهتمام المؤرخين بهذه المجالات التي تخص فئة هامشية تنتمي إلى أهل الذمة ليس لها تأثير على مجريات الأمور في الدولة الإسلامية، فضلا عن قلة المعلومات في هذا الجانب.

وقد شهد العالم الإسلامي ظهور العديد من الحركات اليهودية المسيحانية الكاذبة، حيث كانت البلدان الإسلامية تعد وبحق ارض خصبة لمثل هذه الأفكار، نتيجة الحرية والأمان الذي عاشه اليهود في ظل الإسلام، تلك الحرية التي منحتهم مساحة كبيرة من التفكير والدرس والبحث، وصلت بهم حد دراسة التأويلات والتفسيرات الباطنية والصوفية كالقبالة[١]، ومكنتهم من طرح ادعاءاتهم بدون أية مخاوف. وقد كان من أهم تلك الحركات المسيحانية: أبو عيسى الأصفهاني، واليوذعانية، وداود الروحي، وغيرها، ويرجع اختيار الباحث لهذه الحركة نموذجاً للدراسة، لأن الروايات المتعلقة بالمسيح الدجال على حد تعبير الباحث اليهودي(إريك براور) هو أهم مادة مفردة نمتلكها حول تاريخ اليهود الكرد[٢]، كما أن هذه الحركة لم تلق الدراسة ولم تشبع بحثاً من قبل المؤرخين المسلمين، لذا حاولت بقدر الإمكان إلقاء الضوء عليها مستفيداً في هذا الجانب من روايات المؤرخين والباحثين اليهود ودائرة المعارف اليهودية(الانسكلوبيديا اليهودية)، لعلها تضفي شيئاً جديداً على التاريخ الإسلامي عامةً، وتاريخ كردستان خاصة.

أما الموضوع فقد وقع اختياري عليه لسببين أولهما: دراسة الحركات اليهودية المسيحانية في ظل الخلافة العباسية، وأثرها على اليهود في مختلف أقطار المشرق الإسلامي. ومحاولة تفنيد آراء بعض المستشرقين ومؤرخي اليهود، بتعرض اليهود لأشكال من الاضطهاد والتمييز والتهميش، أدت إلى ظهور مثل هذه الادعاءات. حيث كان المستشرق الفرنسي(كلود كاهين) واضحاً في التعليق على هذا الموضوع الحساس، في معرض كتابته عن الأقليات غير الإسلامية – أهل الذمة (اليهود) خلال العصر الإسلامي، ومقارنته بوضعهم في الحقبة المسيحية الوسيطة في أوروبا يقول: " ليس ثمة

---

[١] – القبالة: هي مجموعة التفسيرات والتأويلات الباطنية والصوفية عند اليهود. والاسم مُشتَّق من كلمة عبرية تفيد معنى التواتر أو القبول أو التقبل أو ما تلقاه المرء عن السلف، أي «التقاليد والتراث» أو «التقليد المتوارث». وكان يُقصَد بالكلمة أصلاً تراث اليهودية الشفوي المتناقل فيما يعرف باسم «الشريعة الشفوية» ثم أصبحت الكلمة تعني، من أواخر القرن الثاني عشر=«أشكال التصوف والعلم ألحاخامي المتطورة» (إلى جانب مدلولها الأكثر عموماً باعتبارها دالاً على سائر المذاهب اليهودية الباطنية منذ بداية العصر المسيحي). وقد أطلق العارفون بأسرار القبَّالاه (مقو باليم بالعبرية والقبَّاليون بالعربية) على أنفسهم لقب «العارفون بالفيض الرباني». ومصطلح «قبالة» واحد من مصطلحات أخرى تشير إلى المدلول نفسه، فالتلمود يتحدث عن «رازي هتوراه»، أي «أسرار التوراة». وقد كان يُشار إلى المتصوفين بعبارات يورديّ مركافاه، أي النازلون إلى المركبة، وبعلي هاسود، أي أسياد أو أصحاب الاسم، وإنشي إيموناه، أي رجال الإيمان، وبني هيخلاه دي ملكا، أي أبناء قصر الملك. وكان القبَّاليون يرون أن المعرفة، كل المعرفة (الغنوص أو العرفان)، توجد في أسفار موسى الخمسة، ولكنهم كانوا يرفضون تفسير الفلاسفة المجازي، وكانوا لا يأخذون في الوقت نفسه بالتفسير الحرفي أيضاً. فقد كانوا ينطلقون من مفهوم غنوصي أفلاطوني مُحدَث يُفضي إلى معرفة غنوصية، أي باطنية، بأسرار الكون وبنصوص العهد القديم وبالمعنى الباطني للتوراة الشفوية. لمزيد من المعلومات راجع: عبد الوهاب المسيرى: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مج ٥، ص ٣٤٥.

[٢] – يهود كردستان، أكمله وأصدره رافيل باتاي، نقله الى العربية شاخوان كركوكي وعبد الرزاق بوتاني(اربيل: دار ئاراس، ٢٠٠٢)، ص٦٣.

شيء في الإسلام في القرون الوسطى يمكن تسميته تحديداً بمعاداة السامية". كما إن الموضوعية تحتم علينا أن نحاول مقارنة عدم التسامح المسيحي بنظيره الإسلامي لما لهما من أوجه شبه أوجه اختلاف، إن الإسلام، بغض النظر عن العديد من الاضطرابات والقلاقل، قد أظهر من التسامح والود إزاء اليهود الذين عاشوا في بلاد المسلمين أكثر مما أظهرته أوروبا[١]، أما المستشرق البريطاني – الأمريكي (برنارد لويس) الذي يعتبر مؤلفه (اليهود في الإسلام)أكثر تقييماً للاعتدال بشأن وضع اليهود تحت النفوذ الإسلامي في العصور الوسطى الإسلامية، فيقدم تفسيره الخاص لإحساس اليهود بوضع أفضل تحت حكم الإسلام منه في ظل المسيحية قائلاً: " عندما نقارن موقف المسلمين من اليهود ومعاملتهم إياهم في القرون الوسطى بوضع اليهود بين جيرانهم المسيحيين في أوروبا الوسيطة فإننا نرى عدداً من المقابلات الصارخة. . . إن معاداة اليهود في المجتمع الإسلامي ليست من جهة لاهوتية. . . إنها بالأحرى ذلك الموقف المعهود من قبل الغالب إزاء المغلوب، موقف الأغلبية إزاء الأقلية، دون ذلك البعد اللاهوتي الإضافي وبالتالي البعد النفسي الذي يضفي على نزعة معاداة السامية لدى المسيحيين طابعها الأوحد والخاص"[٢]، أما السبب الثاني، فهو أن هذا الموضوع وهو اضطهاد الشعوب الإسلامية لليهود فيما يعرف (بمعاداة السامية) قد صار لغة العصر وموضوعه، هذا من جانب؛ ومن جانب آخر فإن مثل هذه الموضوعات لا تدعم كراهية الإسرائيلي لغيره من البشر، وترسخ في وجدانه حب الأنا وتفردها فحسب؛ بل أنها تلقى رواجاً وقبولاً على كافة الأصعدة فى إسرائيل، وتدرس فى المدارس والجامعات الإسرائيلية، أضف إلى ذلك أن غالبية هذه النخبة من المؤرخين الإسرائيليين هم من مؤلفي كتب التاريخ المدرسية والجامعية فى مراحلها المختلفة في إسرائيل. ومن هؤلاء: مناحم شترن، وأوريئيل ربابورت، وبروريا بن باروخ في العصرين اليوناني والروماني، وبت تسيون عراقى كلورمان، ويسرائيل جرشونى فى فترة ما بعد ظهور الإسلام[٣]، ولبيان تهافت مثل هذه الادعاءات التي ليس من ورائها طائل، فان معاملة الفاتحين المسلمين لليهود كانت حسنة في فترة الفتوح وما بعدها في العصرين الأموي والعباسي. قياساً بما لاقوه على يد البيزنطيين والساسانيين. فقد كانت تدابير الإمبراطور البيزنطي هرقل Heraclius الشديدة ضده، جعلتهم يعملون مع العرب المسلمين في الشام ضد الروم البيزنطيين، حتى وصل الأمر بالخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان إلى إسكان جماعة منهم في مدينة طرابلس المعرضة لهجمات الأسطول البيزنطي[٤].

وجاءت الفتوح الإسلامية بتحسن كبير في وضع اليهود، وأكد الخلفاء الراشدين ذلك في وصاياهم بأهل الذمة. وتعطي الروايات اليهودية صورة طيبة لنظرة الخلفاء الأوائل للجماعات اليهودية وخاصة في العراق[٥]، وفي الشام كانت المعاملة حسنة، وعومل اليهود السامرة[٦] معاملة خاصة لتعاونهم مع العرب المسلمين، وكان التزام الأخيرين بالعهود وحمايتهم لأهل

---

[١] – مارك ر. كوهين: بين الهلال والصليب وضع اليهود في القرون الوسطى، ترجمة إسلام ديه ومعز خلفاوي، قدم له صادق جلال العظم(كولونيا– ألمانيا: منشورات الجمل، ٢٠٠٧)، ص ٢٠ –٢١.

[٢] – كوهين: بين الهلال والصليب، ص ٢٢.

[٣] – هاني عبد العزيز السيد سالم: الحركات اليهودية المسيحانية في ظل الإسلام حركة شبتاي زيفي نموذجاً، بحث مقدم إلى المؤتمر العالمي للتاريخ والحضارة الإسلامية في جامعة مالايا، كوالالمبور، تشرين الاول ٢٠١١م، ص ٩١٢.

[٤] – البلاذري: فتوح البلدان، حققه وعلق حواشيه وأعد فهارسه وقدم له: عبدالله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع(بيروت: مؤسسة المعارف، ١٤٠٧هـ–١٩٨٧م)، ص ١٧٤،.

[٥] – عبد العزيز الدوري: اليهود في المجتمع الإسلامي عبر التاريخ، في أوراق في التاريخ والحضارة(بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٨هـ –٢٠٠٧م)، ج٣، ص ٩٤ – ٩٥ نقلاً عن Cambridge History of Religion in The Middle East.

[٦] – السامرة، فهي باللغة العبرية (شومرون) التي تعني عاصمة مملكة إسرائيل التي يوجد فيها جبل جريزيم الذي كان يحج إليه السامريون في عيد الفصح، وقد شكلت السامرة أقلية صغيرة العدد في مصر أيام سلاطين المماليك، هذا فضلا عن أن بعض المصادر المعاصرة قد أشارت إلى أن السامرة ليست من اليهود، ومع هذا فقد عاملهم سلاطين المماليك

الذمة مدعاة احترام هؤلاء ومودتهم، وفوق ذلك فان الشريعة الإسلامية لا تميز بين اليهود وغيرهم من حيث الوضع القانوني، وهذا يعود إلى نظرة الإسلام المفتوحة لأهل الكتاب[١].

لقد أكد الإسلام على وحدة الأديان السماوية في الأصل الإبراهيمي، ووفر الآخرين حرية العقيدة ما داموا يلتزمون بالعهود ولا يعتدون على المسلمين أو يعينون عليهم، وترك المسلمون لأهل الذمة شؤونهم الخاصة وفق شرائعهم، واستعانوا بالذميين من اليهود والنصارى في الوظائف المالية والكتابية للاستفادة من خبرتهم، وكانت سمة التسامح على أشدها في صدر الإسلام، ولا يمكن تفسير ذلك – كما حاول البعض من المستشرقين وتلامذتهم – التفوه بها؛ بحاجة العرب المسلمين إلى الشعوب الأخرى في الإدارة وغيرها، بل الثقة بالنفس وروح التسامح[٢].

عقيدة انتظار المخلص الموعود من نسل داود: المسيحانية"Messiancim"ا

اصطلحت العبرية على استخدام لفظ "مشيحوت للتعبير عن مبدأ الإيمان بخلاص شامل يتحقق على يد الملك المسيح "هامشيح " الذي يعتبر قدومه مؤشراً لبداية مستقبل مثالي بكل ما فيه. وهى مأخوذة من الفعل العبري "ماشح" الذي يعنى في عبرية العهد القديم أن يمسح بالزيت المقدس. أما مصطلح المسيحانية "Messiancim" فهو مشتق من اللغة العبرية من الفعل: ماشيح Mashiah الذي يعني: "الممسوح بدهن الزيت المقدس– هامشيح": "The Anointed one" على عادة بني إسرائيل في مسح الطفل أو الملك المتوج بدهن الزيت كسِمة للقداسة "Yehoshua" أي (يهوه المنقذ)، وقد حور الاسم واتخذ صيغة (يشوع): "Yeshu" وهو الاسم الذي عرف به السيد المسيح (عليه السلام) والذي يعني "الربُّ يخلص"[٣]، وقد ترددت اللفظة اسماً ومصطلحاً معاً، في الكتاب المقدس: العهد القديم والجديد ولمرات عديدة. ففي سفر صموئيل الثاني (٥١/٢٢) نقرأ: "أحمدك يا رب، وأورنم اسمك بين الأمم نصراً عظيماً يمنح ملكه ويظهر رحمته لمن مسحه، لداود وذريته إلى الأبد"[٤].

وجاء في سفر إشعيا: "سيخرج من جذع يسى (والد نبي الله داود –عليه السلام–) وينمو غصن من أصوله، روح الرب ينزل عليه. . . لا يقضي بحسب ما ترى عيناه. ولا يحكم بحسب سماع أذنيه، بل يقضي للفقراء بالعدل وينصف

على أساس أنهم فرقة يهودية ينطبق عليها شروط أهل الذمة. وقد نشأت هذه الطائفة في فلسطين بعد سقوط مملكة إسرائيل –التي انشقت بعد وفاة سليمان– على يد الملك آشوري (تجلات بلاصر) عام ٧٣٨ ق. م الذي أجلى اليهود عن فلسطين إلى نواحي شمال بلاد ميديا(= كردستان)، واحل محلهم بعض القبائل في سكنى عاصمة المملكة وهي مدينة السامرة القديمة التي يعيشون حولها والتي قامت على أنقاضها مدينة نابلس، ويذهب بعض الباحثين اليهود إلى أن نشأة هذه الفرقة ترجع إلى أيام السبي البابلي عام ٥٨٦ ق. م. وفي هذا التاريخ بنى السامريون هيكلهم فوق جبل جرزيم. وقد اشتدت العداوة بين هذه الفرقة وبقية اليهود عندما رفضوا المساهمة في بناء الهيكل الثاني، إذ كانوا يعتبرون أن المكان المقدس لليهودية هو جبل جرزيم في نابلس، وليس جبل صهيون وأورشليم، وقد أضاف هؤلاء إلى التوراة عبارات توحي بقدسية هذا الجبل، ومن المعروف أن السامرة يصعدون جبل جرزيم ثلاث مرات في السنة حاملين معهم حمامة ذهبية ليقدموها قربانا على المذبح في أعلى الجبل، وهم لا يحجون إلى القدس ذلك لان جبل جرزيم يحتل في قدسيتهم مكان القدس، وهم يقدمون الشاة في عيد الفصح محتفظين بعظامها سليمة، ينظر، محاسن محمد الوقاد: اليهود في مصر المملوكية في ضوء وثائق الجنيزة (د.م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩)، ص ٢٢٨-٢٢٩.

[١] – البلاذري: فتوح البلدان، ص ١٥٨.

[٢] – عبد العزيز الدوري: المرجع السابق، ج٣، ص ٩٥.

[٣] – عرفان عبد الحميد فتاح: اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية (عمان: دار عمار للنشر، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م) ص٢٥-٢٦. نقلا عن The Encyclopedia of Religion

[٤] – الطبري: التفسير ٣٥/٦.

الظالمين بكلام كالعصا، ويميت الأشرار بنفخة من شفتيه. يكون العدل حزاماً لوسطه، والحق مئزراً حول خصره، فيسكن الذئب مع الخروف، ويبيت النمر بجانب الجدي"[١].

وكان الأحبار والأنبياء يسمون من أجل المسح بالزيت مسحاء الله، وينهى العهد القديم عن المساس بهم كما جاء في سفر أخبار الأيام الأول (٢٢/٢٠)" لا تمسوا مسحائى ولا تؤذوا أنبيائي". وكان مسح الملوك أول شعائر التتويج والمبايعة، فكان شاؤول وداود من هؤلاء المسحاء. ثم أطلقت كلمة مسيح مجازاً على كل مختار منذور. فقد ورد في سفر اشعيا: "إن كورش الملك الفارسي كان مسيحاً للرب. لأن الرب أخذ بيده لإهلاك أعداء بني إسرائيل وإقامة الهيكل من الجديد"، وجاء في الإنجيل: "وبينما هو يفكر (يوسف النجار) في هذا الأمر، ظهر له ملاك الرب في الحلم وقال له: "يا يوسف ابن داوود لا تخف أن تأخذ مريم امرأة لك، فهي حبلى من روح القدس، وستلد ابناً تسميه (يسوع) لأنه يخلص شعبه من خطاياهم"[٢]. وجاء أيضا: "ولما بلغ الطفل يومه الثامن، وهو يوم ختانه سمي يسوع كما سماه الملاك قبلما حبلت به مريم"[٣].

ومع تخصيص جذع يسي (والد النبي داود–عليه السلام–) بدور القيام بمهمة المسيحانية المنتظرة وتحقيق الخلاص النهائي لبني إسرائيل على يده، فان الاسم واللقب قد أطلقا على آخرين لا يمتون بصلة رحم إلى الفرع المنتخب إلهياً من بين فروع بني إسرائيل الأخرى (بني يعقوب –عليه السلام–) الأخرى.

وقد شاع استخدام هذا الفعل في كتاب العهد القديم للتعبير عن مسح الكهنة والأنبياء والأمراء وبعض الأدوات والأشياء. وهو تقليد كان شائعا لدى شعوب الشرق الأدنى القديم. ولما كان المسح بالزيت يضع الشخص الممسوح في مكانة أعلى من جميع إخوانه لكي يكون فى خدمة الرب؛ فإن ذلك يجعله أكثر قربا من يهوه، كما يجعله مختاراً منه، ويقوم بالحكم نيابة عنه ويمنح بني إسرائيل البركة باسم يهوه، وينفذ شريعته وخططه وكل ما يريد على الأرض، كما يجعل منه ملكا مقدساً لا تنتهك حرمته. ومن خلال مسح الملك وتسلحه بالروح السماوية، فإنه يتلقى حكمه خارقة، ولأنه قد أصبح ملاك يهوه؛ فهو ينفذ كل رغباته على الأرض. وهو يعرف المستقبل ويتمتع بحياة أطول من كل البشر، كما أن خبراته عظيمة ويمكنه تحقيق ما يعجز عنه الآخرين. ثم تطور المفهوم في عصر التلمود حيث أصبح يستخدم فقط للدلالة على ملك يأتي في المستقبل، مزوداً بقوى من الرب الذي اختاره لينفذ مهمة تخليص بني إسرائيل من الأعداء ويحكمهم كملك عظيم ويخضع باقي الشعوب الأخرى لسيطرته الدينية والسياسية[٤].

وقد كانت فكرة الخلاص في العهد القديم إحدى الأفكار التي شوهها أحبار التلمود ومعاصريهم من أدباء الأبوكاليبس[٥]. أو الأدب الرؤيوى، فبدلاً من التمسك بدعوة الأنبياء بأن يكون مجيء الخلاص مرتبطاً بعودة بني إسرائيل إلى الطريق القويم في عبادة الرب ونبذ عبادة الأوثان وكافة الموبقات الأخرى من انحلال خلقي وفساد اجتماعي، نحى أحبار التلمود ومعاصروهم من الكهنة وأدباء الأبوكاليبس بمفهوم الخلاص منحى عنصريا حيث أصبح يشير إلى الإيمان بمجيء ملك يهودي ترسله السماء يتميز بقدرات قتالية خاصة، يقود بني إسرائيل ويضعهم طبقا لهذا المفهوم المتطور على

---

[١] – العهد القديم، سفر اشعيا: ١١، و انظر أيضاً: سفر صموئيل الأول: ١٣/١٦ (فحلّ روح الرب على داود من ذلك).

[٢] – العهد الجديد، إنجيل متى: ١/٢٠–٢١.

[٣] – العهد الجديد، إنجيل لوقا: ١٢/٢، و ١٦/٤: "روح الرب عليّ، لأنه مسحني لأبشر المساكين".

[٤] – منى ناظم الدبوس: المسيح اليهودي ومفهوم السيادة الإسرائيلية، سلسلة نحن وهم ١(القاهرة: الاتحاد للصحافة والنشر، ١٩٨٦)، ص٢٨–٢٩، ٥٣.

[٥] – كلمة يونانية تعنى الكشف أو الإظهار. ويطلق مصطلح أدب الأبوكاليبس على المؤلفات التي تهتم بالكشف عن الأشياء الغامضة التي تقع فيما وراء الطبيعة والخافية عن العين البشرية. وقد تبلور هذا الأدب في القرن الأول الميلادي بهدف حث بني إسرائيل على التمسك بالشريعة. للمزيد راجع: منى ناظم الدبوسي: المرجع السابق، ص ٢٦

قمة السلم البشرى. وتحت تأثير قبول عقائد أخرى تبعد عن شريعة موسى، وتحت تأثير العنصرية والدونية التي يتحدث منها أولئك الأحبار نتيجة الهزائم العسكرية المتكررة وضع أحبار التلمود شروطاً أخرى لمجيء هذا الملك المسيح عرفت باسم مخاض المسيح هي في مجملها حاله الكوارث المدمرة الشاملة للعالم اجمع تتبعها حاله سلام وهدوء أبدى يتميز فيها اليهود . كما يعتقدون . بوضع السيادة على كافة إنحاء المعمورة متعبدة طائعة مقدمة القرابين لتتخذ من صورة الإله التي يرسمها بنو إسرائيل في هذا التراث محطاً للعبادة، وتصبح عبادة الشعوب لصورة هذا الرب خضوعاً لبنى إسرائيل فى ذات الوقت. وفى مجموعة أخرى عرفت بـ"معجزات المسيح" يتحدث فيها أحبار اليهود عن تصورهم لوضع غيرهم من الأمم الأخرى في عصر المملكة المسيحانية، يقول الربى يوسى: " سيجلس الرب المبارك ويسحق الأغيار شيئاً فشيئاً ولا يقدرون على البقاء أمامه لأن التوراة تكون عليهم نيراً عظيما يحاولون التخلص منه"[١].

فقد أطلق على الملك الاخميني كورش الثاني (٥٥٩-٥٣٠ ق. م)، - المسيح المنتظر- تكريماً له، جراء قضائه على المملكة الكلدانية (البابلية)، واحتلال عاصمتها بابل عام ٥٣٩ق. م، وإصداره أوامر تقضي بالسماح ليهود الأسر البابلي بالعودة إلى فلسطين، ومساعدتهم مادياً من أجل إعادة بناء المعبد السليماني (هيكل سليمان) الذي دمره الملك البابلي نبوخذ نصر عام٥٨٦ ق. م، فجاء في سفر اشعيا: " وهذا ما قاله الرب لكورش الذي مسحه وأخذ بيمينه ليخضع له الشعوب، ويضعف سلطان الملوك حتى يفتح أمامه المصاريع فلا تغلق في وجهه الأبواب، أسير قدامك، فأمهد الجبال، وأحطم مصا ريع النحاس، وأكسر مغاليق الحديد، وأعطيك الكنوز الدفينة والذخائر المخبأة، فتعلم إني أنا الرب، اله إسرائيل، الذي دعاك باسمك، { أي الممسوح}[٢].

كذلك أطلق الاسم في سفر زكريا على شخصيتين هما: الكاهن الأعظم يشوع، والملك زربابل، وهو حفيد الملك "جيهوى أشين" وكان وقتها زعيما ليهود المنفى الذين عادو من بابل إلى يهودا (=المملكة الجنوبية قبل تدميرها على يد نبوخذ نصر) بموافقة الملك كورش الثاني. وعين زربابل في ظل حكم الملك داريوس الاول في سنة ٥٢١ق.م حاكماً لمقاطعة يهودا (=أورشليم- القدس وأطرافها)، وكان آخر حكامها من بيت داود. ويتحدث (كتاب زربابل) الذي كتب في زمنه والذي قيل انه وجد منقوشاً على الحجر، عن رؤى رآها زربابل (بذر بابل) عن ظهور المسيح[٣].

وقد الفت أعمال كثيرة عن الآمال المسيحانية التي نشأت عن كتاب زربابل، وتقول دائرة المعارف اليهودية: "رغم انه من الصعوبة تحديد تواريخ مختلف الأعمال التي يتكون منها هذا الأدب المسيحاني، فلا يستبعد أن يكون بعضها سابقا حتى على كتاب زربابل ... وقد كان لهذه الكتابات تأثير كبير على اليهود في العصور الوسطى[٤]، وتزامنت الفكرة دائماً مع حقب المحن والفتن والملاحم وموجات الاضطهادات والتصفيات الجماعية لليهود على أيدي خصومهم Trauma Suffering وحالات نفسية تتسم بالإحباط والخذلان Frostration وان ظهور المنتظر الغائب والمنقذ الموعود من نسل داود، هو سفينة النجاة وطريق الخلاص مما يعانون من مذلة وصغار، وضياع وتشتت، وغياب سلطان، وما يتجرعون من قسوة وظلم وامتهان، وما يحسونه من إحباط ويأس وخذلان في ديار العبودية والشتات Bandag of Exile[٥].

---

[١] - هاني عبد العزيز السيد سالم: الحركات اليهودية المسيحانية في ظل الإسلام، ص ٩١٢.

[٢] - العهد القديم، سفر اشعيا، ٤٥-١ و١٤-٢٨، وقد صور سفر ارميا في عبارات ثأرية مصير الملك الكلداني نبوخذ نصر الذي دمر أورشليم وخرب المعبد السليماني (الهيكل) وسبى اليهود إلى مدينة بابل فيما سمي بالسبي البابلي، ينظر سفر ارميا ٧/٣١.

[٣] - بركات احمد: محمد واليهود نظرة جديدة، ترجمت محمد علي مراد (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٦م) ص٢٠٤.

[٤] - Messianic Movements, Encyclopedia Judaica (Jerusalem 1971), Vol. XI, Column 1413.

[٥] - عرفان عبد الحميد: اليهودية، ص٢٩ نقلا عن Britannica Encyclopedia مادة اليهودية

ولقد تعرض اليهود ومؤسساتهم الدينية إلى حملات عديدة من القتل والتخريب والهدم على يد أعدائهم ومنها:

١. التدمير الأول لأورشليم وهيكل سليمان عام ٥٨٦-٥٨٧ ق. م على يد الملك الكلداني نبوخذ نصر، ثم الأسر البابلي.
٢. التدمير الثاني لأورشليم وهيكل سليمان على يد القائد الروماني تيتوس عام ٧٠م، وفرضه قسرا أجلاء بني إسرائيل عن فلسطين، ويبدو أن اليهود الذين عاشوا في شمال الجزيرة العربية وجنوبها (اليمن) هم من هؤلاء اليهود[١].
٣. المذبحة الهائلة التي انزلها الإمبراطور الروماني هاد ريان عام ١٣٢م باليهود اثر فشل حركة التمرد الفاشلة التي قادها الزعيم اليهودي شمعون باركوخيبا Simon Bar Kochiba الذي انتحل صفة المسيحانية وادعى انه المسيح المنتظر، وقد قتل باركوخيبا ومعه آلاف اليهود بعد استسلامهم للإمبراطور الروماني، الذي دمر أورشليم وبنى على أنقاضها مستعمرة رومانية اسماها(كولونيا إيليا كابتولين) [٢].

وبناء على ما تقدم فقد سرت إلى بنية العقيدة اليهودية عناصر رؤيوية ذات مضامين أخروية، فصارت العقيدة تبعاً لذلك تتضمن الإشارة إلى مرحلتين متتابعتين، أولاهما: تمهيدية تسود فيها المظالم وتعم المفاسد، ويبتلى بنو إسرائيل فيها عادة بالحكم الأجنبي وسطوته والقهر والاضطهاد والقسوة والمعانات، وهذه المرحلة التمهيدية؛ تبدأ بعد أن تملأ الأرض ظلما وجورا وفساداً، مما يستدعي عودة النبي إيليا من السماء، الذي سيمهد بجهاده وقتاله ضد أعداء بني إسرائيل للخلاص ثم يصعد إلى جبل الكرمل ليعلن نهاية الفواجع والكوارث، بل والتاريخ Consummation of History، وقيام عهد جديد هو العهد المسَائي على الأرض.

ومع ظهور السيد المسيح – ببشارته- ولأنه من جذع يسي، ومواليد بيت لحم[٣]، فقد افترقت السبل باليهود مع مجيئه، فاعتقدت طائفة منهم أنه المنقذ الإلهي المرتقب، وأنه المقصود بما ورد في الأسفار عن المسيا من أن أسمه: المسيح بن يوسف ، واحتجت هذه الطائفة بما جاء في نبوءة النبي إشعيا عنه: "ولكن السيد الرب نفسه يعطيكم هذه الآية: ها هي العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل ، يأكل زبداً وعسلاً إلى أن يعرف كيف يرفض الشر ويختار الخير[٤]، فآمنوا برسالة السيد المسيح واتبعوه، وصاروا يشكلون فرقة: يهودية – مسيحية: – Judaizing Christians Christianized Jews، وقد استمرت هذه الطائفة التي لفقت في عقيدتها بين اليهودية والمسيحية في الوجود ردحاً طويلاً من الزمن، رغم أن اليهود والنصارى رفضوا معاً الاعتراف بهم[٥]، حتى أن الراعي المسيحي خريسوستوم Chrysostom – الذي عاش أواخر القرن الرابع الميلادي – اضطر للتنديد بهذه الطائفة بمدينة أنطاكية باسم المسيحية التي كانت آنئذ قد غدت ديانة رسمية للإمبراطورية البيزنطية.

---

[١] – فاروق الدملوجي: تاريخ الأديان – الإلوهية وتاريخ الآلهة(بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤)، ص ٤٥٩؛ ويذكر الكاتب أن عدد اليهود الذين قتلوا على يد تيتوس من سكان أورشليم (القدس) بلغ مليوناً من الأنفس.

[٢] – بركات احمد: محمد واليهود نظرة جديدة، ص٣٤؛

[٣] – لرد دعوى المسيحية أنكر اليهود أن يكون السيد المسيح – عليه السلام – من مواليد بيت لحم، وهو الأمر الذي أكدته الأناجيل: (ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية) إنجيل متى: ١/٢، وإنجيل لوقا٢: المدينة التي سيخرج منها المخلص الموعود؛ وبعد أن فشل اليهود في رد نسبة اليهود إلى داود، فقالوا: إن السيد المسيح من مواليد الناصرة، واستدركوا: (أمن الناصرة يخرج لهم شيء صالح)، إنجيل يوحنا: ٤٦/١.

[٤] – العهد القديم، سفر اشعيا: ١٤/٧، وقارن بإنجيل متى: ١٨/١٠

[٥] – لرد دعوى المسيحية أنكرااليهود أن يكون السيد المسيح – عليه السلام – من مواليد بيت لحم، وهو الأمر الذي أكدته الأناجيل: (ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية) إنجيل متى: ١/٢، وإنجيل لوقا٢: المدينة التي سيخرج منها المخلص الموعود؛ وبعد ان فشل اليهود في رد نسبة اليهود الى داود، فقالوا: إن السيد المسيح من مواليد الناصرة، واستدركوا: (أمن الناصرة يخرج لهم شيء صالح)، إنجيل يوحنا: ٤٦/١.

أدعياء اليهود للمسيحانية قبل الإسلام

على الرغم من أن المسيح المخلص غير مذكور بشكل صريح في التوراة، إلا أن هناك إشارات له ولعصره في بعض أسفارها. كما أن بحث هذه الفكرة عند اليهود والخوض في تفصيلاتها أضفيا على المسيح المخلص أوصافاً معينة يتميز بها عن بقية البشر ويختلف فيها عنهم. فقد قالوا إنه يجب أن يكون من نسل النبي داود – عليه السلام – وأن يكون قاضياً ومعلماً للتوراة، كما يجب أن يكون نبياً بل أفضل الأنبياء بعد موسى – عليه السلام –، وأن ولادته يجب أن تكون في اليوم التاسع من آب طبقاً للتقويم العبري. ثم لا بد أن تكون هناك موطئات لظهوره وعلامات ذكروها وناقشوها في أدبياتهم. وقبل ظهوره لا بد أن يظهر النبي الياهو(= إيليا – الخضر في التراث الإسلامي) بفترة قصيرة يعلن عن ذلك. كما يجب أن يظهر قبله مسيح آخر اسمه المسيح ابن يوسف من قبيلة (أفرايم (= ابن يوسف) موطئاً وممهداً ويخوض حروباً حيث يسقط في آخرها صريعاً على أبواب أورشليم[١]، وسيقود المخلص اليهود منتصراً ويأخذهم إلى فلسطين حيث سيحكم العالم منها وتخدمه الأمم والشعوب. وطبقاً لما يذكره اليهود فانَّ العصر المسيحاني سيكون عصراً ذهبياً تنعدم فيه المجاعة والحروب والصراعات بين الناس وتعم الرفاهية والسعادة ويزول الحزن والأمراض من بينهم بل وتطول أعمارهم ومن يموت وعمره مائة يعتبر صغيراً كما جاء في سفر اشعيا: " لا يموت هناك طفل أيام ولا شيخ لم يستكمل أيامه لأن صغير السنِ يموت وهو ابن مائة سنة والذي يموت دون مائة فإنَّه ملعون"[٢]، وتذكر الأدبيات المسيحانية أن هذه الحقبة ستطول لألفي سنة قبل حلول يوم القيامة.

وبعد رفض عامة اليهود الإقرار بمسيحانية السيد المسيح تنامت دعوات المسيحانية وعلى تعاقب القرون، فادعاها بحسب التسلسل التاريخي:

١–بين الأعوام ٥٢ و٤٥ للميلاد ظهر رجل يهودي من مصر وأدعى بأنه نبي وتبعه حوالي ثلاثون ألف رجل، فقادهم إلى جبل الزيتون عند أورشليم وقال لهم بأن حيطانها ستسقط بأمره وسيحررها من سيطرة الرومان، ثم دارت بينه وبين الجيش الروماني على أتباعه. ويظهر مما ورد في العهد الجديد أن هذا المتنبئ بقي حياً بعد هذه المعركة[٣].

٢–شمعون باركوخبا، يهودي ظهر في فلسطين في القرن الثاني الميلادي وأدعى بأنه من نسل الملك داود، وقاد ثورة ضد الحكم الروماني في الأعوام ١٣٢–١٣٥م انتهت بقتله وأتباعه على يد القائد الروماني يوليوس سيفردس[٤].

٣–في حدود عام ٤٤٨م أدعى يهودي من جزيرة كريت بأنه موسى، وأنه أرسل ليخلص اليهود، وقد وعد من كان في الجزيرة منهم بأن يأخذهم عن طريق البحر الأبيض المتوسط إلى فلسطين دون مراكب، حيث يفلق لهم البحر كما فلقه موسى (عليه السلام)، وقد ضرب لهم موعداً لذلك، فلما جاءوا البحر نادى على البحر أن ينشق ولكنه لم ينشق ومع

---

[١] – لرد دعوى المسيحية أنكرا ليهود أن يكون السيد المسيح – عليه السلام – من مواليد بيت لحم، وهو الأمر الذي أكدته الأناجيل: (ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية) إنجيل متى: ١/٢، وإنجيل لوقا٢: المدينة التي سيخرج منها المخلص الموعود؛ وبعد أن فشل اليهود في رد نسبة اليهود الى داود، فقالوا: إن السيد المسيح من مواليد الناصرة، واستدركوا: (أمن الناصرة يخرج لهم شيء صالح)، إنجيل يوحنا: ٤٦/١.

[٢] – الاسم أورشليم ليس عبرياً وفي التوراة هناك صورتان لاسم المدينة هما: يروشلم ويروشلايم، وهذا الاسم الثاني هو المستعمل بين اليهود، واستعمل العرب منذ ما قبل الإسلام عدداً من للاسم منها: اوريشلم، واوريشلوم، واوريسلم وغيرها، وقد ورد بعضها في شعرهم. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان.

[٣] – أعمال الرسل: ٣٨/٢١؛ إن العدد كان أقل مما ذكر.

[٤] – بركات احمد: محمد واليهود نظرة جديدة، ص١٨٤.

ذلك فقد أمرهم أن يقفزوا فيه فأطاعوه وقفزوا فغرق منهم من غرق ونجا منهم من نجا. أما المخلص المزيف فقد اختفى ولم يعثر له على أثر[١].

٤-في حوالي ٦٤٥م أعلن رجل من يهود افريقية عن ظهور المسيح وزعم أنه الموكول بإعادة ألأسباط العشرة المفقودين إلى أرض الميعاد، وجمع حوله ما يقرب من أربعمائة رجل من الحاكة والقصارين، وهجم بهم على مجموعة من أديرة المسيحيين وحرقوا ثلاثة منها وقتلوا أحد روسائهم، فقبض على اليهودي فصلب وقتل أتباعه[٢].

أدعياء اليهود للمسيحانية في العصر الإسلامي

لقد سكن الجزيرة العربية يهود كثيرون، كما حكمت اليمن أسرتان ملكيتان يهوديتان، ومن المرجح أن تكون الآمال المسيحانية قد ثبتت أفئدة اليهود العرب أثناء تدمير المملكة الحميرية على يد الأحباش وما تبعها من اضمحلال لمركزهم. والإشارات المختلفة التي ساقها المؤرخ ابن إسحاق المتوفى سنة ١٥١هـ للنبوءات اليهودية المتعلقة ببعثة ((نبي)) قد تكون نتيجة لقراءة مختلفة لبعض الكتابات اليهودية المسيحانية، وكان ابن إسحاق وعلماء المسلمين الذين جاءوا من بعده يظنون أن اليهود الذين تنبأ أحبارهم بمبعث نبي كانوا في حقيقة الأمر ينتظرون مبعث النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، " أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به"[٣]، وهذا واضح وضوح الشمس في رابعة النهار، أن أياً من الأنبياء الإسرائيليين الذين جاءوا من بعد موسى(عليه السلام) في تعاقبٍ متطاولٍ، حتى ظهور المسيح(عليه السلام) لم يدَع أنه النبي الموعود في هذه النبوءة[٤].

وأنهم حين أعلن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) نبوته جحدوا هذه النبوة عامدين[٥]. ولكن يهود الحجاز فيما يبدو لم يروا أية آية ولم يشهدوا تحقق أية نبوءة، وقد ذكر ابن إسحاق: " وقد دعا رسول الله(صلى الله عليه وسلم) يهود إلى الإسلام ورغهم فيه، وحذرهم غير الله وعقوبته، فأبوا عليه، وكفروا ما جاءهم به، فقال لهم (الصحابة) معاذ بن جبل وسعد بن عادة وعقبة بن أمية: يا معشر يهود، اتقوا الله، فوا لله إنكم لتعلمون انه رسول الله، ولقد كنتم تذكرونه لنا قل مبعثه، وتصفونه لنا بصفته؛ فقال(يهود) رافع بن حريملة، ووهن بن يهوذا: ما قلنا لكم هذا قط، وما أنزل الله منٍ كتابٍ بعد موسى(عليه السلام)، ولا أرسل بشيراً ونذيراً بعده. . . "[٦].

وعلى أية حال فقد ادعى العديد من اليهود أنهم المسيح المخلص (المنتظر)، وهم حسب التسلسل التاريخي:

١- في عام ١٠٢هـ/٧٢٠م أيام الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك أدعى يهودي سوري اسمه سفيروس أو سيرينوس-سيرين(Serenus) انه المسيح المخلص[٧]، وتنبأ بمعجزة تعود بها فلسطين إلى اليهود، وأدعى سيرينوس انه نبي لا

---

[١]- Encyclopedia Judaica Messianic Movement, pp234؛ بركات احمد: محمد واليهود نظرة عصرية، ص٢٠٤.

[٢] - عرفان عبد الحميد فتاح: اليهود، ص ٣٣؛ جعفر هادي حسن: الدونمه بين اليهودية والإسلام، ص٢٧ نقلاً عن .S. W. Baron, Social and Religious History of the Jew, Vol 5, p. 184 . .

[٣] - سفر تثنية الاشتراع: ١٨/١٨.

[٤] - مولانا محمد علي: حياة محمد ورسالته، نقله العربية منير البعلبكي، الطبعة السابعة (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤)، ص٤٤٦؛ هاشم يحيى الملاح: موقف اليهود من العروبة والاسلام في عصر الرسالة، هيئة كتابة التاريخ، سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة(بغداد: دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٨)، ص ٢٥.

[٥] - ابن هشام: السيرة النبوية، حققها وضبطها مصطفى السقا وآخرون(بغداد، مطبعة واوفسيت منير، ١٩٨٦)، ق١، ج١، ص٢٠٤.

[٦] - السيرة النبوية لابن هشام، ق١، ج٢، ص٥٦٣- ٥٦٤.

[٧]. هناك خلاف في تسمية هذا الشخص في المصادر مابين سيرين وسيرينوس، فبينما يذكره المؤرخ العراقي المشهور عبد العزيز الدوري والمؤرخ الهندي ب (سيرين)، يلاحظ بأن الباحث العراقي جعفر هادي حسن يطلق عليه (سفيرنيوس).

لليهود وحدهم بل للمسلمين، كذلك ألغى بعض أحكام الفقه اليهودي التي مصدرها التلمود وليست التوراة التي تحرم أطعمة بعينها، وسمح بالزواج دون عقد، بل ذكر عنه وعن أتباعه بأنهم لم يكونوا يصلون، وقد صدقه جمع كبير من اليهود بل وحتى المسيحيين وجمع أموالا ومتاعاً بحجة استعمالها في طرد المسلمين من فلسطين وإقامة دولة اليهود. وقد ذاعت شهرة سيرينوس حتى وصلت إلى اسبانيا (الأندلس) التي كانت في ذلك الوقت تحت الحكم الإسلامي، وبهذا الصدد يذكر أحد المعاصرين: " أن يهود ذلك البلد قرروا النزول عن ممتلكاتهم ووضعوا أنفسهم تحت قيادة هذا الشخص الذي كانوا يشبهونه بالمسيح"[١].

وقد القي القبض عليه بعد بضع سنوات في عام ١٠٦هـ/٧٢٤م في أيام الخليفة هشام بن عبدا لملك، في رواية، وفي رواية إلى الخليفة يزيد بن عبد الملك، ولما سأله الخليفة هشام عن مدَعاه أجابه بأن دعوته كانت لتضليل اليهود والسخرية منهم وأن ادَعاءه لم يكن عن إيمان وعقيدة، فترك أمره إلى أبناء ملته وقيل بل أمر بقتله[٢].

٢- عبيد الله أبا عيسى اسحق بن يعقوب الأصفهاني: وقيل كان اسمه ابن عيسى عاديا (عوفيد)، هناك خلاف بين المصادر الإسلامية واليهودية في التوقيت الذي ابتدأ الأصفهاني دعوته، ففي حين تشير المصادر اليهودية إلى أن زمن ادعائه بأنه المسيح المنتظر جاء في زمن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٥- ٨٦/٦٨٥هـ-٧٠٥م) وفق دائرة المعارف اليهودية[٣]، وفي زمن آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد (١٢٧-١٣٢/٧٤٤هـ - ٧٥٠م) حسب مرجع آخر[٤] اعتماداً على كتاب (الملل والنِحل) للشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨هـ، يلاحظ بأن المصادر الإسلامية تذكر بأن الأصفهاني دعا إلى نفسه في بداية قيام الخلافة العباسية في زمن الخليفة أبو جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ)، وكان قد ابتدأ حركته في أواخر حكم الدولة الأموية، ويعتقد أنها استمرت حتى أيام الخليفة أبو جعفر المنصور، وقال لليهود إن للمسيح خمسة رسل يأتون قبله واحداً بعد الآخر، وزعم أن المسيح أفضل ولد آدم[٥]. ويذهب ابن حزم المتوفى سنة ٤٥٦هـ أن محمد بن عيسى كان يؤمن بأن عيسى نبي بعثه الله بالإنجيل إلى بني إسرائيل، وان محمداً (صلى الله عليه وسلم) نبي بعثه الله بشريعة القرآن إلى بني إسماعيل (عليه السلام)[٦]، وزعم أن الله كلمه وأمره بتخليص اليهود من أيدي الأمم العاصية الظالمة، وحرم ابوعيسى أكل اللحوم وشرب الخمر والطلاق، وأوجب سبع صلوات (سبع مرات في النهار سبحتك على أحكام برك)[٧]، وكان ابوعيسى اليهودي خياطاً أميا لا يقرأ

ينظر: عبد العزيز الدوري: اليهود في المجتمع الإسلامي عبر التاريخ ج٣، ص١٠٧؛بركات احمد: ا لمرجع السابق، ص٢٦، جفر هادي: المرجع السابق، ص٢٦.

[١]- بركات احمد: محمد واليهود، ص٢٦؛ نقلاً عن جراتز: تاريخ اليهود(فيلادلفيا، ١٨٩٤م)، الجزء الثالث؛ رحلة بنيامين التطيلي: ترجمة عزرا حداد، تقديم عباس العزاوي(بيروت، دار الوراق للنشر المحدودة، ٢٠١١)، ص ٢٤٣.

[٢] - بركات احمد: المرجع السابق، ص٢٦؛ عبد العزيز الدوري: أوراق في التاريخ والحضارة، ج٣، ص١٠٧؛ جعفر هادي حسن: المرجع السابق، ص٢٦.

[3]. (Hayytim J Cohen –Amnon Netzer) " Isfahan " Encyclopedia Judica, (Jerusalem , 2007) Vol, 10,pp,79-80

[٤]- رحلة بنيامين التطيلي، ٢٤٣.

[٥] - الشهرستاني: الملل والنحل، ج٢، ص ٢٣٩.

[٦]- الملل والأهواء والنحل، تحقيق عبد الرحمن عميرة وزميله(بيروت: دار الجيل، د، ت)، ج١، ص ١٧٩؛ عبد العزيز الدوري: المرجع السابق، ص ١٠٧.

[٧] - المزامير، ١١٩/١٦٤.

ولا يكتب، ونسب إليه تأليف عدة كتب، أعتبر أتباعه ذلك معجزة لأنه لم يكن يقرأ ويكتب. وظل أبو عيسى ثائراً ضد الخلافة العباسية لعدة سنين، وعندما هوجم من قبل جيش الخليفة المنصور خط حول أتباعه خطاً بعود آس، وقال لهم أقيموا داخل الخط فليس ينالكم عدو أوسلاح، فكان الجيش العباسي يحملون عليهم حتى إذا بلغوا الخط تراجعوا عنهم خوفاً من طلسم أو عزيمة، ولكن ابوعيسى خرج من الخط وحده على فرسه وقاتل الجيش العباسي، وقتل عدداً منهم ثم قتل وانهزم أصحابه، وفي رواية أخرى يذكر الشهرستاني انه قتل على يد جيش المنصور في منطقة الري[١].

وكان سنباذ وهو احد القادة الإيرانيين من أهالي منطقة نيسابور التابعة لإقليم خراسان قد ثار ضد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور سنة ١٤٠هـ/٧٥٧م، انتقاما منه بسب قتله لأحد قادة الثورة العباسية (أبو مسلم الخراساني) في ٥ شعبان ١٣٧هـ/٧٥٥م، واستطاع ان يجمع حوله الكثير من الأتباع في مدة قصيرة، وأحتل في البداية قومس(كومش)، ووضع يده على الخزائن التي كان أبو مسلم قد أودعها في تلك المدينة، ثم ما لبث أن أعلن عزمه على التوجه صوب بلاد العرب المقيمين الحجاز، وأعلن اعتزامه هَدم الكعبة المشرفة. ويعتقد أن الداعي اليهودي ابوعيسى الأصفهاني استغل انشغال المنصور بحركة سنباذ فثار هو الآخر، فكان أن قضى قائد المنصور (جهور بن مرار العجلي) على حركتي سنباذ المجوسي، وأبو عيسى اليهودي مرة واحدة وقتل غالبية أتباعهما في منطقة الري سنة ١٤٠هـ/٧٥٧م[٢].

٣- في الحقبة نفسها ادعى أحد أتباع (أبو عيسى الأصفهاني) واسمه يوذعان أو يهوذا من مدينة همدان، أدعى انه المسيح المخلص، وقد حرم الخمر وأكل اللحم كما فعل أبو عيسى، وشرع أيضا صلوات وصياماً، وكان يرى بأن الأعياد والسبت ما هي إلا رموز قد بطلت بعد أن هدم الهيكل، وكان أتباعه يجبرون اليهود على إتباع ممارساتهم، وكان أيضا يحث على الزهد والإكثار من الصلاة وكان يقول بأن للتوراة ظاهراً وباطناً وتنزيلاً وتأويلاً، وقد خالف في تأويلاته عامة اليهود، كما خالفهم في التشبيه، ومال إلى القدر، وأثبت الفعل حقيقة للعبد، وقدر الثواب والعقاب عليه وشدد في ذلك[٣]، ويذكر احد مؤرخي الأديان، أن اليوذعانية، أو المقاربة هم كالباطنية في المسلمين[٤]، وتشير بعض الروايات بأن شرذمة من أتباعه كانت باقية إلى عام ٩٣٨م[٥].

---

١ - الملَل والنحل، ج٢، ص ٢٣٩.

٢ - ادوارد براون: تاريخ الأدب في إيران، ترجمه إلى الفارسية علي باشا صالح، ترجمه الى العربية احمد كمال الدين حلمي، تقديم محمد علاء الدين منصور(القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٥م)، ص ١٦٤؛ وقد توهم المستشرق البريطاني براون في توقيت خروج (سناذ)، والصحيح هو سنة ١٣٧هـ، وليس كما قال ١٤٠هـ، والخطأ الآخر الذي وقع فيه براون هو أن أبو مسلم اودع امواله في مدينة قومس، والصحيح انه اودعها في مدينة الري، ينظر بهذا الصدد، غلام حسين صديقي: الحركات الدينية المعارضة للإسلام في ايران في القرنين الثاني والثالث الهجريين، ترجمة مازن إسماعيل النعيمي٠دمشق: دار الزمان، ٢٠١٠)، ص ٨٠- ٨٢؛ فرست مرعي: محاضرات في تاريخ الخلافة العباسية(صنعاء: ألوان للطباعة والنشر، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، ص٣٩- ٤٠.

٣ - الشهرستاني: الملل والنحل، ج٢، ص ٢٤٠.

٤ - فخر الدين الرازي: اعتقادات فِرق المسلمين والمشركين، مراجعة وتحرير علي سامي النشار(بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م)، ص ٨٣.

٥ - جعفر هادي: المرجع السابق، ص ٢٨؛ Haim Hillel Ben – Sasson. (Messianic Movement), Encyclopaidia Judica, VOL 14, pp118.

٤- في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، توفي حاخام العراق الأكبر ورأس الجالوت (١) في الدولة الإسلامية، وكان اسمه (الجاؤون سليمان)، ويبدو انه لم يترك ولدا يخلفه في وظيفته، وكان أحق المرشحين لهذا المنصب ابن أخيه (عنان بن داود)، فعارض في انتخابه اكبر رجلين باقيين على رأس اليهود في الدولة الإسلامية وهم: دوداي بن نحمن مدير الأكاديمية البابلية في فومبديثة(= فم البداق – قرب الانبار) – نهر دعة(= بالقرب من مدينة الفلوجة الواقعة على نهر الفرات)، و يهوداي بن البصير عميد الأكاديمية البابلية في سورا (= منطقة الفرات الأوسط – قرب مدينة الحلة)، بسبب ما ذكر عنه من فساد السيرة وسوء الأخلاق وقلة التقوى، واختارا لزعامة يهود العراق الأخ الأصغر لعنان بن داود وكان اسمه (حنانية بن داود)[٢]، لا سيما وان بعض علماء اليهود قد تأثروا بآراء المعتزلة وأصحاب (الكلام) من المسلمين، فصاروا ينتقدون تعاليم الربانيين ويتحفزون للخروج على أحكام التوراة وقيوده. وكان على رأس هذه الحركة ثلاثة من علماء اليهود، هم الربيون: إفرايم، وأليشع المعلم، وحنوكة[٣]، فوجدوا في ثورة عنان ضآلتهم المنشودة، ونصبوا عنان بن داود على رأس حركتهم. فأسرع الربانيون[٤] بالشكوى إلى الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور الذي أمر بحبس عنان، ويروى بعض المؤرخين أن عنان هذا لقي الإمام أبا حنيفة النعمان المتوفى سنة ١٥٠ هـ في السجن فأشار عليه أن يدعي انه صاحب دين، وأنه يؤمن بعيسى ومحمد (عليهم الصلاة والسلام) نبيين، وانه اختار الأعياد طبقاً لرؤية الهلال بدلاً من الحساب الفلكي، وانه يصر على أن آراءه ليست بآراء اليهود

---

[١] – رأس الجالوت: أو أمير المنفى – تعتبر بعض المأثورات (يهواكيم) آخر ملك من سلالة داود انه أول رأس جالوت عرف به، وكان رأس الجالوت في أيام عزه القاضي السامي لجماعات اليهود ولم تضيق الشريعة اليهودية سلطته وتنظيمه الا قليلاً. وبقي هذا المنصب شاغراً الى عهد الفاتحين العرب المسلمين فرجع اليه حينئذٍ بهاؤه، وأن جميع رؤوساء الجالوت الذين قاموا منذ القرن السابع الميلادي حتى القرن الحادي عشر منه كانوا من سلالة (بستاني) الذي بواسطته تجدد عز هذا المنصب وتأيد موقفه السياسي. ينظر يوسف رزق الله غنيمة: نزهة المشتاق في تأريخ يهود العراق، هامش ٢ ص٩٧.

[٢] – الشهرستاني: الملل والنِحل، ج٢، ص ٢٣٨. ابن حزم الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج١، ص ١٧٨؛ علي بن محمد الفخري: تلخيص البيان في ذكر فرق أهل الاديان، تحقيق وتقديم رشيد الخيون(بيروت: مدارك، ٢٠١١)، ص٢٨٨– ٢٨٩؛ الدوري: المرجع السابق، ص ١٠٧.

[٣] – رحلة بنيامين التطيلي، ص ٢٢٧–٢٢٨.

[٤] – الربانيون أو الربانون أو الربيون: هم جمهور اليهود المعروفون أكثر من غيرهم، وتعني كلمة (ربانيم) بالعبرية الإمام الحبر الفقيه، وقد عربت هذه الكلمة إلى (رباني)، ووردت في القرآن الكريم في قوله تعالى ((إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله. . .)) سورة المائدة، الآية ٤٤، وقد سمي أبناء هذه الفرقة (ربانيين) إشارة إلى إتباعهم تفسير علماء اليهود وفقهائهم في المشنا(= نص التلمود)، والتلمود، وتقيدوا بذلك حتى صار هذا الاسم سمة عامة لهم. وكانت رئاسة اليهود(= الجالوت) لواحد من الربانيين وهم اكبر طوائف اليهود في تلك الآونة، وكان له حق الإشراف على أبناء الطوائف الثلاث من: الربانيين والسامريين والقرائين. والربانيون هم حالياً جمهور اليهود الذين ينقسمون الى طائفتين كبيرتين وهم: الاشكناز وهم يهود اوروبا وشرقها، والسفارديم وهم اليهود الذين استقروا في حوض البحر الابيض المتوسط، بعد هروبهم من الاندلس اثر محاكم التفتيش الاسبانية. ينظر، فرست مرعي الدهوكي: لمحات من تاريخ اليهودية والنصرانية ومخططاتهما ضد الاسلام، الطبعة الثانية(صنعاء: المنتدى الجامعي للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م)، ص ٤٩ – ٥٠.

القدماء، وليس ثائرا على رأس الجالوت، لذا أطلق على حركته اسم (القرآئين) أو بني المقرأ [١]، وبعد إطلاق سراحه رحل إلى فلسطين هو وأتباعه حيث شيدوا لهم كنيس[٢]، وان كان بعض الباحثين المحدثين يرفض رواية السجن هذه ويرجحون انه لا صحة لها من أساسها وينفون ما زعمه باحثو الربانيين من تأثر القرائيين بالشيعة ألاثني عشرية، وان عنان كان تلميذا للمعتزلة الذين وقفوا موقف الحذر من بعض الأحاديث النبوية، وتحرجوا من اعتبار الحديث مصدرا أساسيا للتشريع الإسلامي، كما أن رفض (عنان بن داود) للتلمود ليس مرده الحقد على الربانيين، بل بسبب الصراع على منصب رئيس الجالوت كما قيل[٣].

ويرجح البعض عودة نشأة هذه الفرقة إلى فترة سابقة على عصر عنان والى جذور تاريخ القرائيين يمتد إلى أعماق التاريخ اليهودي، كما ذكر احد المؤرخين أن العانانية نسبة إلى عانان بن داود، وأشار بأنها فرقة غير القرائيين الذين يرجع تاريخ نشأتهم إلى فترة سابقة في التاريخ اليهودي[٤].

وقد اعتبر مؤرخو عصر المماليك الربانيين والقرائيين بمثابة الفرقة الواحدة، وذلك رغم انه كان لكل من الفرقتين معابدها الخاصة، فقد اتفق القراء ون والربانيون على استخراج ستمائة وثلاث عشرة فريضة من التوراة، كما اتفقوا على نبوة موسى وهارون ويوشع، وعلى نبوة إبراهيم واسحق ويعقوب وهو (إسرائيل) وأبنائه ألاثني عشر (الأسباط)، ولم يعترف القراء ون بغير هؤلاء[٥].

٥- في بداية القرن الثاني عشر الميلادي (السادس الهجري)، ادعى رجل يهودي اسمه سلمون (سليمان) ظهر في فلسطين بأنه المسيح المخلص الذي تنتظره اليهود " إنَِي مرسل رسولي فيعد الطريق أمامي ويأتي فجأة إلى هيكله (المعبد)، السيد الذي تلتمسونه وملاك العهد الذي ترضون به. ها إنِ آتٍ قال رب الجنود"[٦]، وكان سلومون يسافر من مكان إلى آخر يعد اليهود بأنه سيجمعهم بعد شهرين ونصف إلى أورشليم(القدس)، وقد تعجب اليهود من ادعائه لأنه كان كاهناً، والكاهن من نسل قبيلة (لآوي) وليس من نسل نبي الله داود (عليه السلام) الذي هو من نسل (يهوذا)[٧] الذي هو شرط في المسيح المخلص كما تمت الإشارة إليه سابقاً. وكان يقول للناس بأنه سيذهب إلى

---

[١] – ريجارد كوك: بغداد مدينة الإسلام، نقله الى العربية وقدم له وعلق عليه فؤاد جميل ومصطفى جواد(بغداد: مطبعة شفيق، ١٩٦٢)، ص ٦٢ – ٦٣.

[٢] – القرائيين كلمة مشتقة من المصدر (قرأ)، بمعنى قرأ –دعا– نادى– وذلك لأنهم لم يؤمنوا بغير (المقرأ) أي ما يقرأ فيه وهي التوراة التي لم يعترفوا بغيرها من كتب اليهود كما أنهم لم يتقيدوا بما جاء في التلمود، ويعتقدون بسابق القدر، ويعتمدون على الأهلة في تقويمهم وحساب أعيادهم ومواسمهم مما اوجد فروقا في هذه الناحية بينهم وبين الربانيين. وقد شبههم بعض المؤرخين العرب بالمعتزلة في الإسلام، والحقيقة أن هذا التشبيه لا يطابق الواقع، ولعل السبب في ذلك هو الخلط بينهم وبين الفريسيين، وهم فرقة يهودية ظهرت في بداية العصر المسيحي، أي إنها كانت معاصرة للسيد المسيح (عليه السلام)، وكانت تناصبه العداء. ينظر، مراد فرج: القراء ون والربانون، ص ٢٩ – ٣٠.

[٣] – حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي أطواره ومذهبه (دمشق: دار القلم، ٢٠٠٢)، ص٢٩٥. قاسم عبدة قاسم: أهل الذمة في مصر من الفتح الإسلامي حتى العصر العثماني، ص١١٢.

[٤] – المقريزي، الخطط، ج٢، ص٤٧٢، ٤٧٦. قاسم عبده، أهل الذمة، ص١١٢.

[٥] – القلقشندى: صبح الأعشى في صناعة الانشا، ج١٣، ص٢٥٣، انظر أيضا مراد فرج، القراءون والربانيون، ص١١٣، ١١٦.

[٦] – سفر ملا خي: ١/٣.

[٧] – فرست مرعي الدهوكي: لمحات من تاريخ اليهودية والنصرانية، ص ١٥٠ ملحق رقم (١).

مصر" وآتي بإخوتنا منها إلى أورشليم" وكان سلومون الكاهن من فرقة القرائين[١]، وهو أول قرائي يدعي أنه المسيح[٢].

٦- في عام ١١٧٢م/٦٠٤هـ ظهر يهودي في مدينة فآس بالمغرب اسمه(موسى الدرعي) وكان من علماء اليهود المعروفين، وقال لليهود بأنه المسيح وأنه سيحقق معجزته في الليلة الأولى من الفصح اليهودي(= التسع من شهر نيسان). وقد أمر أتباعه أن يبيعوا أمتعتهم وأن يصبحوا مدانين للمسلمين وذلك بشراء ما قيمته ديناراً بعشرة دنانير من أجل أن يحققوا ما جاء في التوراة: : وأعطى الر نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين"[٣]. وقال لهم في تعليل ذلك لأنَهم سوف لا يرونهم بعد ذلك، ولكن عيد الفصح جاء ومضى ولم يحدث شيء، وأصبح الذين صدقوه فقراء صعاليك بسبب دَينهم للمسلمين، وهرب الدرعي إلى فلسطين ومات هناك[٤].

تصدي علماء الكلام اليهود لأدعياء المسيحانية

لقد تصدى أكابر متكلمة اليهود لدعاوى الوقاتين ونددوا بتنبؤاتهم عن ميعاد ظهور المسيا (المسيح المنتظر)، كما هو واضح في كتابات سعديا بن يوسف الفيومي (٨٩٢-٩٤٢م)، وموسى بن ميمون (١١٣٥-١٢٠٤م)[٥]، ويوسف البو

---

[١] – جعفر حسن هادي: المرجع السابق، ص ٢٩.

[٢] – المرجع نفسه، ص ٢٩.

[٣] – سفر الخروج، ٣٦/١٢.

[٤] – جعفر هادي حسن: الدونمه بين اليهودية والإسلام، ص ٢٩ – ٣٠.

[٥] – موسى بن ميمون: ولد موسى بن ميمون فى قرطبة عام٥٣٠هـ/١١٣٥م التى كانت تخضع لحكم المسلمين آنذاك. وقد ظل هناك هناك حتى عام ٥٦٣هـ/١١٦٥م؛ إذ رحل إلى مصر، وهناك قضى بقية حياته إلى أن توفى. وينحدر موسى من أسرة عريقة يرجع نسبها إلى يهوذا هنَّاسي، بل إن بعض الباحثين يرجعون نسبه إلى الملك داود. وكان أبوه ميمون قاضياً فى المحاكم الدينية مشهوراً= =ومتمكناً فى الدراسات الدينية وعلم الفلك والرياضيات، وتلقى ابن ميمون دروسه الأولى فى الأندلس، حيث تمتزج فيها علوم العالم وثقافاته. وفى ظل هذه البيئة التى انصهرت فيها كل تلك الثقافات المختلفة نشأ موسى نشأة علمية فلسفية ودينية؛ فقد اهتم الأب ميمون بتعليم ابنه التوراة والتلمود وغيرهما من علوم الدين اليهودي. كما تتلمذ على يد عدد من المسلمين حاملي مشعل الحضارة والعلم فى ذلك الحين؛ أمثال يوسف بن صديق الأندلسي الذي كان لدروسه أثر عظيم فى تكوين عقلية ابن ميمون العلمية، وكذلك ابن أفلح الأشبيلي الذي درس على يده بالأندلس علم الفلك؛ هكذا اطلع ابن ميمون على كتابات المسلمين فى المنطق والفلسفة والعلوم الطبيعية والطب. وعن ترحال موسى بن ميمون وأسرته نعرف أنه عندما دخل الموحدون إلى قرطبة عام ٥٤٣هـ/١١٤٨م خيروا أهل الذمة من اليهود والنصارى المقيمين فيها بين اعتناق الإسلام أو الرحيل عنها، فرحل بعضهم وبقى البعض الآخر ممن أظهر الإسلام وأبطن اليهودية منتظراً فرصة اللحاق بمن خرج. هكذا خرجت أسرة ميمون إلى جنوب إسبانيا حيث مدينة المرية، وهناك عاشت الأسرة اثنتي عشرة سنة حتى فتحها الموحدون عام ٥٥٥هـ/١١٦٠م. وطبقاً لنظام التخيير السابق الذكر اضطرت الأسرة إلى اعتناق الإسلام وحفظ القرآن والاشتغال بالفقه. ولكن حينما سنحت الفرصة بالرحيل غادرت أسرة ميمون المرية متوجهة إلى مدينة فاس المغربية فى العام نفسه. ونتيجة لتشدد أسرة الموحدين، اضطرت أسرة ميمون إلى الإبحار خفية فى عام٥٦٣هـ/١١٦٥م إلى عكا ثم مكثت فيها ما يقارب ستة أشهر، حيث اضطرت للنزوح إلى مصر بسبب المعاملة الوحشية من الصليبيين للمسلمين واليهود الخاضعين لسلطانهم، كما أن مصر كانت تتميز بقدر كبير من التسامح الدينى وحرية العقيدة، هذا إضافة إلى المعاملة الحسنة من قبل الأيوبيين لأهل الذمة، وفى مصر، تولى موسى بن ميمون رئاسة الطائفة اليهودية عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م، وقد كان ذلك بدعم من الناصر صلاح الدين الأيوبي، ووزيره القاضي الفاضل تقديراً منهما لدور العلم والعلماء. كما أن موسى كان قد عيَّن ابنه إبراهيم خلفاً له في رئاسة الطائفة، وظلت هذه الوظيفة تتوارث داخل أسرة موسى بن ميمون حتى القرن الرابع عشر الميلادي وقد كان من نتائج تولى موسى رئاسة الطائفة أن أخذ في محاربة كل الخرافات والأساطير الموجودة في الديانة اليهودية، كما حارب كل العادات السيئة الموجودة فى الصلوات والطقوس الدينية. ونتيجة توطيد

(١٣٨٠-١٤٤٤م) المتأثرين بالنزعة العقلية الاعتزالية، فأنكر هؤلاء دعاوي الوقاتين وسحرهم وشعوذتهم، وأكدوا وقرروا انه لا يجوز لأحد التنبؤ بقدوم المنقذ الإلهي(المسيح المنتظر)" فعلم ظهوره لا يعلمه إلا الله"[١]، مع تأكيدهم للمقاصد الغائية للمسيحانية من أن ظهور المخلص بشارة لدخول بني إسرائيل الأمان، وإن الإنسانية ستجد طريقها الصحيح إلى الدين الحق، وتعاليم التوراة وشرائعه، وستنعم البشرية بالرشاد تحت ظل مبادئ العدل والإخوة والمساواة، وستسقط كل العوائق والموانع التي كانت تحول دون الانكباب على دراسة التوراة والاستهداء بتعاليمه، وستنتهي عصور الخصومات والحروب وتنعم البشرية بالسلام والرفاهية بمجيء وقيام السيادة الإلهية على الخلق أجمعين. فصار الوقاتون يبحثون عن تاريخ محدد لظهور المسيا اليهودي، فحدد بعضهم عام ١٠٩٦م وهو عام بدء الحملات الصليبية، عام ظهور المخلِّص والسنة المنشودة للخلاص النهائي المحتوم The Year Of The Deliverance ولما أثبتت الأحداث أن الحروب الصليبية كانت شؤماً ودماراً كاملاً ليهود أوروبا، إذ جعل الصليبيون شعارهم الأول: " الثأر للسيد المسيح من قتلته اليهود "، واتهموا اليهود بموالاة المسلمين مما جر إلى سلسلة متعاقبة من حملات الاضطهاد والتنكيل والمذابح الجماعية ومصادرة الأموال والممتلكات، وفرض الإقامة الجبرية على اليهود في مناطق مقفلة، حصروا فيها Ghetto، وألزموا بلبس القبعات المدببة The Jew Hat، ووضع شرائط صفراء على صدورهم بغية فرزهم وفصلهم عن المسيحيين The Yalow Badge[٢].

وهكذا انتهى الأمل بالخلاص بنتائج سلبية ومعاناة قاسية، وفي القرنين التاليين للحروب الصليبية، عاد الوقاتون إلى تحديد تواريخ أخرى لمجيء المخلص من آل داود، فافترضوا عامي ١٣٤٨م و١٤٠٣م ميقاتاً معلوماً لظهوره، استخلاصاً من الرؤويات المبثوثة في سفر دانيال[٣].

داود مناحيم بن سليمان ابن الروحي (١٠٩٩ – ١١٦٠م)

هناك تضارب واختلاف في تدوين حادثة فتنة (داود بن سليمان الروحي (الرائي) بين المصادر اليهودية والإسلامية، فالمصدر الإسلامي الوحيد عنه هو كتاب (بذل المجهود في إفحام اليهود) لصموئيل(السموأل) بن يحيى بن عبده المغربي المتوفى سنة ٥٧٠هـ/١١٧٥م، الذي اعتنق الإسلام ببغداد سنة ٥٥٨هـ/١١٦٢م[٤]، وغادرها الى إقليم أذربيجان حيث خدم بيت (بهلوان) وأمراء دولتهم، وتوفي في مدينة مراغة سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م[٥]، فيما لم يشر المؤرخ الشهير ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م إلى هذه الحادثة رغم معاصرته لها.

أما المصادر اليهودية فكلها تستند في روايتها إلى رحلة بنيامين بن يونا التطيلي[٦]، وتختلف هذه المصادر في اسم بطل هذه الفتنة، فبنيامين يسميه (داود الروئي)، ويقول المؤرخ اليهودي (ابن ويرغه) في كتابه (سبط يهوذا) إنه (داود الداود)، وفي (سلسلة التواريخ) لابن يحيى إنه (داود المنصور). وفي رواية أن لفظة (الروئي) محرفة عن لفظة (الرازي)

علاقته بالناصر صلاح الدين وأسرته وحاشيته، عمل طبيباً للملك الناصر، كما استعان به الناصر على تهدئة يهود اليمن في أوقات اندلاع أعمال الشغب والتمرد. ؛ ينظر: عبد المجيد، محمد بحر: اليهود في الأندلس، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، المكتبة الثقافية، ١٩٧٠م)، ص٨٩- ٩٠؛ هاني عبد العزيز السيد سالم: الحركات اليهودية المسيحانية في ظل الإسلام، ص١٣-١٤.

١ – العهد القديم: سفر زكريا، ٢٣/٣٤.

٢ – عرفان عبد الحميد: المرجع السابق، ص ٣٣ – ٣٤.

٣ – فرست مرعي: لمحات من تاريخ اليهودية والنصرانية، ص ٤٤ – ٤٨.

٤ – رحلة بنيامين التطيلي، ص ٢٤٤.

٥ – المصدر نفسه، ص ٢٤٤.

٦ – المصدر نفسه، ص ٢٤٣ – ٢٤٦.

نسبة إلى مدينة (الري) المدينة الإيرانية المعروفة التي كانت عاصمة لإقليم الجبال، والتي بنيت مدينة طهران في شمالها[١]. أما بخصوص المصادر الإسلامية وتحديداً كتاب (بذل المجهود في إفحام اليهود) فانه يسميه (مناحيم بن سليمان) ويعرف بابن الروحي[٢]، ويعتقد احد الباحثين اليهود المحدثين بأن اسم مناحيم مختلق، أطلقه هذا المسيح الدجال على نفسه لان التقاليد اليهودية تقول إن المسيح المنتظر يحمل اسم مناحيم أي (المعزي)، وعليه يمكن البت أن الاسم الكامل لبطل هذه الفتنة هو: داود بن مناحيم بن سليمان المعروف بابن الروحي. وبشأن تاريخ هذه الفتنة فيمكن تحديده في خلافة (محمد بن المستظهر الذي بويع له بالخلافة في ١٢ ذي الحجة سنة ٥٣٠هـ/١١٣٦م، ولقب المقتفي لأمر الله. وتوفي سنة ٥٥٥هـ/١١٦١م[٣]، وهذا واضح من قول الرحالة بنيامين: " وقبل عشر سنوات قامت في العمادية فتنة داود ابن الروحي". ولما كان من المعلوم أن بنيامين زار إيران حوالي سنة ١١٧٠م، لذا يبدو أن التاريخ التقريبي لوقوع الحادثة صحيحاً. كما يمكن الاستئناس بما أورده بنيامين من أن داود الروحي قد تلقى العلم في بغداد على يد رأس الجالوت، ورأس المثيبة، ولما كان رأس المثيبة (علي بن إسرائيل اللاوي) قد تولى رئاسة المثيبة من سنة ١١٥٢ إلى سنة ١١٦٠م. لذا أمكن القول بأن (داود ابن الروحي) قام بحركته في حدود سنة ١١٦٠م/٥٥٥هـ[٤].

وإذا كان بنيامين والسموأل يتفقان من حيث المبدأ في نشأة هذه الفتنة ودواعي أسبابها، فإنهما يختلفان في أسلوب روايتها. فالأول يدافع عنه، وينسب إليه الخوارق والمعجزات؛ بسبب يهوديته[٥]، في حين يتحامل الثاني عليه بالطعن والتشهير؛ لكونه قد دخل في الإسلام، وهاجم اليهود واليهودية في كتابه(بذل المجهود في إفحام اليهود)[٦].

ولد داود في بداية حروب الفرنجة عام ١٠٩٩م، في منطقة حبتون (خفتيان – هبتون)[٧] من ضواحي بلدة العمادية الواقعة في كردستان العراق، وقد أختلف البلدانيون والمؤرخون في تحديد موقعه، ولكن وفق المصادر السريانية والإسلامية فانه يشكل الجبال المطلة على نهر الزاب الكبير من الجهة الشرقية(جبال شيرين المطلة على بارزان، وجبال برادوست– نواخين، وجبال حرير في محافظة أربيل)[٨]، وكان يعيش في منطقة العمادية آنذاك حوالي ٢٥ ألف يهودي

---

١ – رحلة بنيامين التطيلي، ص ٢٤٤ هامش٣.

٢ – السموأل بن يحيى المغربي: إفحام اليهود، تقديم وتحقيق وتعليق محمد عبدالله الشرقاوي(الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٧هـ)، ١٨١.

٣ – يوسف رزق الله غنيمة: نزهة المشتاق في تأريخ يهود العراق مع ملحق بتأريخ يهود العراق في القرن العشرين بقلم مير بصري، الطبعة الثانية (لندن: دار الوراق، ١٩٩٧)، ص ١٤٣ هامش (١).

٤ – رحلة بنيامين التطيلي، ٢٤٤.

٥ – المصدر السابق، ص ٢٤٤ – ٢٤٥.

٦ – المصدر نفسه، ٢٤٥؛ والغريب أن احد الكتاب اليهود المحدثين يدافع عن السموأل اليهودي الذي أسلم بقوله: " ففي ففي كتاب إفحام اليهود للصموأل(السموأل) ب. يحيى المغربي، وهو يهودي دخل في الإسلام، نجد رواية أكثر واقعية لانتفاضة ألروي؛ بغض النظر عن تحامل الكاتب على اليهود" إريك براور: يهود كردستان، ص ٦٣.

٧ – هبتون: حبتون – حفتيون جبل بنواحي الموصل، وهو من أعمال الموصل. ينظر، ياقوت الحموي: معجم البلدان(بيروت: دار صادر، ١٩٨٦)، ج٢، ص ٢١١، ج٥، ص ٢٢٣؛ وفي نص آخر له يقول: "ثم يقلب في أرض حفيتون من أرض الموصل حتى يخرج في كورة المرج من كور الموصل" ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج٣، ص ١٢٣، ولعل حفيتون تصحيف من النساخ.

٨ – جان موريس فبيه: آشور المسيحية، ترجمة نافع توسا، مراجعة وتدقيق يوسف توما(بغداد: منشورات الفكر المسيحي، المسيحي، ٢٠١١)، ج١، ص ١٥٢، حيث يضيف بأنه إعتماداً على كتاب العفة والملاحظة المدونة في العدد ٩٠

يتفاهمون بالعربية والترجوم (الآرامية الشرقية) وفق رواية الرحالة اليهودي (بنيامين التطيلي)[١]، تلقى العلم في بغداد على يد رأس الجالوت في بغداد (دانيال بن سليمان حسداي)، وعلى يد رأس المثيبة (علي بن إسرائيل اللاوي (١١٥٢ – ١١٦٠م). كان داود شابا ذكيا وسيما طليقا في الكلام، حضر دروسا في الجامعة النظامية وحضر حلقات أرباب التصوف في بغداد، أمثال الشيخ عبد القادر الجيلاني (١٠٧٨ – ١١٦٥) وسمع منه كتابه (الفتح الرباني والفيض الرحماني)، كما حضر دروس عدي بن مسافر في الموصل[٢]، وبعدها سافر إلى دمشق وانتقل بعدها إلى بيت المقدس، فوجدها بيد الفرنجة، فعاد إلى بغداد وانتقل إلى خراسان، وكان اليهود وفيري العدد في إقليم الجبال حسب رواية ألبلداني الإسلامي المقدسي المتوفى سنة ٣٦٧هـ[٣]، وهذا ما جعل المستشرق السويسري (آدم متز) يقدرهم بأكثر من ثمن سكان العراق وخراسان[٤].

لمعت في خيال داود فكرة تحرير القدس من يد الفرنجة، فكيف الوصول إلى ذلك؟ حَول الفكرة إلى عمل وادعى انه المسيح المنتظر، وان الله أوكل إليه مهمة تحرير القدس الشريف، وانه سيعيد العدل إلى هذه الربوع. نالت فكرته الرضا والقبول، وادعى انه يعرف اسم الله الأعظم، فهو إذن من العارفين بالله. قال بنيامين التطيلي: "لقد تضلع بالتوراة والفقه والتلمود وسائر العلوم، وبرع بلغة المسلمين ودياناتهم، ونبغ بفنون السحر والشعوذة، ودخل في روحه أن يعلن العصيان على الاتابك قطب الدين بن مودود التركماني (٥٤٤–٥٦٥هـ/١١٤٩– ١١٦٩م) في خلافة المنتقي لأمر الله العباسي في منطقة طبرستان (مازندران – جنوب بحر الخزر – قزوين). وجمع حوله يهود جبال تلك المناطق، ودعا إلى مقاتلة الصليبيين، وقال لليهود: إن الله قيضني لفتح القدس، وإنقاذكم من نير الاستعباد، فآمنت به مجامع من البسطاء وحسبوه المسيح المنتظر"[٥].

لما خرج داود الروحي طلبه عامل السلطان مودود وسأله: " أمن صحيح انك ملك اليهود؟ قال داود: نعم فأمر بالقبض عليه وزجه في السجن، وعقد مجلسا للنظر في هذه الفتنة، فإذا بداود قد اختفى وظهر في بلاد السلطان في

المخصصة للربان (قام إيشوع)، حيث تقول: " يقع جبل حيوتون الذي سيؤسس فيه الربان قامإيشوع ديره على بعد عشرة أميال من دير بيث عاوي (يقع على بعد خمسة أميال غرب مدينة عقرة)"، المرجع نفسه، ص ١٥٢ – ١٥٣؛ وهفتون: " بليدة من نواحي اربل تنزلها القوافل لمن يريد أذربيجان، وخفتيان قلعتان عظيمتان من أعمال اربل. أحداهما على طريق مراغة يقال لها خفتيان الزرزاري، والاخرى خفتيان سرخاب بن بدر، ويكتب في الكتب خفتيذكان". وقد وردت في رسائل صموئيل بن علي رأس مثيبة بغداد باسم خفتيذكان زرزاران. ينظر: رحلة بنيامين التطيلي، ص ١٨٥–١٨٦؛ ولمزيد من المعلومات ينظر، سليمان صائغ الموصلي: تاريخ الموصل(مصر: المطبعة السلفية، ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م)، ج١، ص ٦٠؛ فرست مرعي: الفتح الإسلامي لكردستان(دمشق: دار الزمان، ٢٠١١)، ص ١٤٢.

١ – يبدو انه هناك مبالغة من قبل الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي في تقدير عدد اليهود في تلك المنطقة الجبلية النائية من كردستان(=العراق حالياً).

٢ – محمد عبد الحميد الحمد: دور اليهود في الحضارة الإسلامية (الرقة: ٢٠٠٦)، ص٢١٩، وكان الباحث قد أعتمد على كتاب الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، للمستشرق السويسري آدم متز في تدوين المعلومات الخاصة بدراسة داود الروحي على يد علماء المسلمين؛ ولكنني بمراجعة المرجع المذكور لم أجد النص المدون في المتن، لذا اقتضى التنويه.

٣ – أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٨٦)، ص ٣٥٣.

٤ – الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريدة(القاهرة، ١٩٨٣) ج١، ص ٦٢.

٥ – رحلة بنيامين التطيلي، ص ١٨٦ – ١٨٧.

الموصل، وهو طليق من الأغلال والقيود، فدهش السلطان وقادة الجيش وسأله السلطان: كيف شخصت إلى هنا؟ ومن أطلق سراحك؟ فأجابه داود: بحكمتي ودهائي وحدهما، وانأ لست خائفا منك، ولا أخشى وزراءك. فأمر السلطان(= سنقر بن مودود) حراسه بأن يقبضوا علي داود، لكن هؤلاء كانوا يسمعون صوته ولا يرون شخصه. فهال السلطان هذا الأمر، وسمع صوت داود يقول: إنني الآن ذاهب في طريقي. فشاهده الجميع وهو يبارح المكان، وتبعه السلطان وجنده ووزرائه، حتى أشرفوا على شاطئ النهر(قيزل أوزون). فرأوا داود ينشر طيلسانه فوق الماء ويعبر عليه إلى الجانب الآخر. . . أما داود فقد نطق ببعض التعاويذ ونطق باسم الله الخفي(الأعظم)، فقطع بيوم واحد ما مسيرته عشرة أيام، فبلغ مدينة العمادية وقص على أتباعه ما حدث. . . "[١].

كتب السلطان السلجوقي سنقر بن مودود إلى الخليفة العباسي المقتفي لأمر الله (٥٣٠-٥٥٥هـ/١١٣٦-١١٦١م) بأخبار داود بن الروحي اليهودي، فطلب الخليفة من رأس الجالوت ورأي المثيبة في بغداد، بإجراء اللازم، فحرروا كتابا إلى داود جاء فيه: " ليكن بمعلومك ان موعد ظهور المسيح لم يحن بعد، وليس لدينا براهين عن قرب ظهوره، وهذا الأمر لا يتم بشق عصا الطاعة. وإنما مطالبوك بالكف عما أنت فيه، وإلا حرمناك من أن تكون من جماعة بني إسرائيل ". وأرسلت نسخة من الكتاب إلى الرئيس زكاي والى الفلكي المعروف ببرهان الفلك في الموصل، ليردعوا داود عن زيفه وأباطيله، ولكن داود لم يرتدع[٢]، يقول بنيامين التطيلي بهذا الصدد: وبواسطة الحيلة أرسل الرئيس (رأس المثيبة في الموصل) زكاي (زكاي بن سليمان حسداي) إلى حمي داود عشرة آلاف دينار، فدخل على داود وهو يغط في النوم، وذبحه في فراشه وتخلص العباد من شره، وأرسل رأس الجالوت إلى الأمير زين الدين علي بن بكتكين التركماني(٥٣٩ -٥٦٣هـ/١١٤٤-١١٦٣م) مبلغا جسيما وقدره مائة ألف دينار ذهباً ذهباً، لكي يعفو عن اليهود في منطقة العمادية[٣].

لقد تجاهلت المصادر الإسلامية (داود بن الروحي)، ولم تذكره، والسؤال: هل قصة داود مختلقة؟ أم هي حقيقية؟ يبدو أن قصة داود بن الروحي حقيقة تاريخية، ولكن المؤرخين الإسلاميين أهملوها ولم يتعرضوا لتدوينها بسبب عدم أهميتها من وجهة نظرهم، ولأنهم لم يذكروا إلا النذر اليسير من أخبار أهل الذمة من اليهود والنصارى، وما جاء في كتبهم من النتف القليلة عن أخبار هؤلاء، أو ردوها على سبيل العرض ليس إلا، أو أنهم ذكروها لعلاقتها بتاريخ الخلافة واشتراك المسلمين فيها، بينما كانت مهمة من وجهة نظر مؤرخي يهود ورجالتهم لأنها تلقي ضوءاً على الجوانب السياسية والثقافية والاجتماعية للمجتمع اليهودي ضمن دولة الخلافة العباسية آنذاك[٤].

فالعالم اليهودي (السموأل بن يحيى بن عباس المغربي اليهودي)، بعد اعتناقه الإسلام سنة (٥٥٨هـ - ١١٦٢م) كتب كتابا سماه (بذل المجهود في إفحام اليهود)، تعرض فيه لقضية داود بن الروحي بإسهاب جاء فيه: "خاطب داود اليهود بقوله لعلكم تقولون، لأي شي استفزنا داود؟ لسنا نريدكم لحرب أو لقتال، ولكن لكي تكونوا واقفين بين يدي هذا القائم ليراكم هناك، من يخشاه من رسل الملوك الذين ببابه، وينبغي أن يكون مع كل واحد منكم سيف يخفيه تحت أثوابه "[٥].

تعاطف اليهود في البداية مع داود، وعندما انكشف أمره وقتل، وصفوه بصاحب الفتنة المحتال. ولكن اليهود عانوا وبال المشقة والخسارات والفقر في منطقة العمادية، أما ماذا حدث ليهود بغداد أثناء ظهور داود؟ قال يحيى بن عباس المغربي: "فرح اليهود به، وقدموا أموالهم إلى ممثلي المسيح المنتظر، واكتسى الفقراء ثيابا، واجتمعوا على السطوح ينتظرون

---

١ - المصدر نفسه، ص ١٨٧ - ١٨٨.

٢ - رحلة بنيامين التطيلي، ص ١٨٨ - ١٨٩؛ يوسف غنيمة: نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، ص ١٤٦.

٣ - رحلة بنيامين التطيلي، ص ١٨٩.

٤ - يوسف غنيمة: نزهة المشتاق، ص ١٤١.

٥ - السموأل بن يحيى المغربي: إفحام اليهود، ص١٨٢.

الطيران على أجنحة الملائكة إلى بيت المقدس، وارتفع من النساء بكاء خوفا على أطفالهن من أن يطيروا قبل طيرانهن، فيجوع الأطفال بتأخر الرضاع عنهم. وعندما لم يحصل الطيران، تعجب المسلمون لما اعترى اليهود عندما أسفر الصبح، واختفى ممثلو الدجال داود وانكشفت الحيلة، فسموا ذلك العام عام الطيران"، وهو عام (٥٥٦هـ-١١٦٠م)[١]، وفي خبر يورده بنيامين التطيلي: "إن موسى بن ميمون عندما قبض على داود، وعرف بمصيره قال داود للوالي: إذا قطع رأسه لا يلبث أن يعود للحياة، فأمر الوالي بحز رقبته، وعاجلته المنية وانتهت هذه الفتنة"[٢].

ويذكر السموأل الذي كان معاصراً لهذه الحركة بأنه رأى جماعة من يهود الأعاجم (إيران) في مدن: خوي، وسلماس، وتبريز، ومراغه، قد جعلوا اسمه (مناحيم) قسمهم. وأما من في العمادية من اليهود فصاروا أشد مباينة ومخالفة في جميع أمورهم لليهود[٣].

وعندما وصل الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي الى ايران بعد عدة سنوات من موت داود الروحي، وجد مجموعة من اليهود يعتقدون بمناحيم المسيح المنتظر الذي سيظهر مرة أخرى، كما وجد أتباعاً له في العمادية وغيرها يسمون (المناحمية)[٤].

وقد كتب (بنيامين دزرائيلي) رئيس وزراء بريطانيا في الاعوام ١٨٧٤ – ١٨٨٠م، الذي كان من أصل يهودي، رواية عن (داود الروحي – الرحى)، صوره فيها بطلاً قومياً فاتحاً[٥].

وقد أطلق اليهود الكرد الذين هاجروا من العراق اسمه على إحدى مستوطناتهم في فلسطين المحتلة(إسرائيل)[٦].

هذه هي صورة اليهودي المتمرد الذي دفعته القبالة للخروج على السلطة من صورة اليهودي الذليل، إلى صورة الرجل الثائر الذي أراد تحرير القدس من يد الفرنجة.

خاتمة البحث

أولاً: بشأن أوضاع اليهود في ظل الخلافة الإسلامية، نستطيع الجزم . بعد دراسة لآراء مجموعة من المستشرقين والمؤرخين اليهود، أنهم قد اتفقوا مع المصادر الإسلامية بشكل كبير أن معاملة اليهود في المجتمع الإسلامي في العصر الإسلامي (الوسيط) كانت أفضل بكثير من معاملتهم من قبل الأوروبيين في تلك الحقبة، كما رحّب اليهود بالإسلام ونعموا تحت جناحيه بحياة حرة كريمة، وقبلوا حكمه وجزيته، وهو ما نلمسه بشكل عملي في الازدهار والرخاء الذي عاشه اليهود في مختلف الأقطار العربية بعد دخول الإسلام. كما أكد المؤرخون اليهود قبل المسلمين على سماحة الإسلام، وعلى نظرة اليهود للفتح العربي الإسلامي ثم قبول حكمه باعتباره المنقذ لهم من نير وظلم الدولة البيزنطية. وأن ما حدث لليهود من أعمال الاضطهاد والطرد من أسبانيا ومحاكم التفتيش فى أوربا على وجه الخصوص، رغم ضلوع اليهود فيها، إلا أنهم في البلدان العربية لم يمروا بما مروا به في الغرب، بل وعاشوا في حرية دينية تامة، ومارسوا شعائرهم وبنو المعابد، ومع ذلك عملوا في الخفاء ضد السلطات المحلية.

---

١ – المصدر نفسه، ص ١٨٣ – ١٨٤.

٢ – رحلة بنيامين التطيلي، ص ٢٤٦.

٣ – إفحام اليهود، ص ١٨٢.

٤ – رحلة بنيامين التطيلي، ص ١٨٩هامش (٣).

٥ – السموأل بن يحيى المغربي: إفحام اليهود، تقديم وتحقيق وتعليق محمد عبدالله الشرقاوي(الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٧هـ)، ١٨١.

ثانياً: بشأن الحركات اليهودية المسيحانية فى المشرق الإسلامي، يتضح من البحث أن المسيح اليهودي هو ذلك الشخص الذي من شأنه إنقاذ وخلاص بني إسرائيل وتكوين مملكة داود، أما الفكرة المسيحانية فتعنى خلاص بنى إسرائيل من هذا العالم وشروره وآثامه وسيادة اليهود للعالم الجديد تحت قيادة الملك المسيح. وقد كانت الفكرة المسيحانية تظهر وبقوة لدى اليهود، عندما تتدهور العالم وتقع كوارث وتندلع الحرب بين الاشرار والأخيار، فضلاً عن الانحطاط الأخلاقي وتدهور العلاقات الاجتماعية. ثم تكون النهاية ببشارة إيليا بقدوم المسيح. وقدفظهرت هذه الفكرة وبقوة لأول مرة بعد دمار المعبد السليماني(= المسجد الاقصى)، ثم ظهرت خلال ما تعرضوا له من دمار على يد الغزاة الصليبيين والمغول فيما بعد – حقبة البحث –. ثم عادت للظهور بعد اعمال العنف والاضطهاد والقمع ومحاكم التفتيش والطرد التى اجتاحت أوربا فى العصور الوسطى.

من أهم الحركات المسيحانية قبل داود الروحي؛ حركة ابو يعقوب الاصفهاني، وداود بن عنان صحب المذهب القرائي اليهودي، واليوذعانية وغيرها. هذه النماذج وغيرها من المسحاء الكذبة تؤكد على عنصرين هامين، الأول: كذب وادعاء هؤلاء المسحاء الكذبة، الذين استغلوا ما وصل له اليهود من انتظار وشوق ولهفة في انتظار المسيح الذي سيخلصهم من هذا العالم وشروره. أما الثاني: طبيعة الظروف المحيطة سواء أكانت اضطهاد للجاليات اليهودية فى أوروبا، أو غزو غربي للعالم الإسلامي، ولم يكن العالم الإسلامي طرفاً فيما تعرض له اليهود، فلم يكن العالم الإسلامي سبباً لظهور مثل هذه الحركات؛ وإنما الحرية والتسامح والرفاهية ورغد العيش، هي عوامل حفزت بعض اليهود على العمل على السيطرة على إخوانهم بواسطة استعمال التصوف اليهودي(القبالة) وتوظيفها مع أساليب الشعوذة والدجل الذب كان يسود المجتمعات اليهودية في ايران واليمن وكردستان، حيث كان (داود الروحي) على دراية بأن يهود ايران كانوا أغبى اليهود جميعاً على حد تعبير بنيامين التطيلي. وهذا ما مكنه من تولي وتبوأ موقع القيادة، وكان من نتائج هذه الأكاذيب والأوهام فشل تلك الحركات الذريع، وهو ما يعود بآثاره السلبية الوخيمة على الجاليات اليهودية.